حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

٨

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠٢٠م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد الثامن

القاهرة

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكريا سليمان

أ.د. نهلة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى[1] بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى[1] بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

يُسعد مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بالتعاون مع أسرة سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية، أن يقدِّما لكل المهتمين بحقل التاريخ الإسلامي والوسيط، الحولية رقم (٨) لعام ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

وهذا المجلَّد من الحولية، يتضمن خمسة بحوث متميزة من البحوث المُحَكّمة، تتناول عددًا من موضوعات التاريخ الإسلامي، والوسيط. **أولها**: "المهمشون في الأندلس من واقع كتب النوازل المعيار للونشريسي نموذجاً"، وعرض **الثاني**: "السياسة الخارجية لأسرة يوان المغولية تجاه الشرق الأقصى"، أما **البحث الثالث**: فعن "تحديد مكان المعركة وزمانها في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية". وتناول **البحث الرابع**: "الدين والأدب وحركة التأليف والترجمة في الحبشة في عهد الأسرة السليمانية". وجاء **البحث الخامس والأخير**: "عن الحج إلى مكة الطريق والشعائر دراسة مقارنة بين رحلتى فارتيما وبتس".

وبعدُ... فنتقدم بأرقى كلمات الثناء والشكر لإسهامات الباحثين، راجين أن نفيدَ جميعًا من جهدهم وفكرهم، وأن يكونَ الجهدُ قد أضاف إلى المكتبة التاريخية جديدًا، وأن تحوزَ هذه الأبحاث رضاءَ الباحثين والقرَّاء.

ونأملُ أن يسهم الباحثون المتخصِّصون ببحوثهم في أعداد الحولية القادمة، وأن نتلقَّى الاقتراحات حول ما يضيف إلى الحولية الجديدة في حقل البحث التاريخي الإسلامي والوسيط.

واللهُ ثم الوطن العزيز من وراء القصد،،،

أسرة التحرير

المحتويات

١- المهمشون في الأندلس من واقع كتب النوازل المعيار للونشريسي أنموذجًا ١١-٦٨

عبدالباقي السيد عبدالهادي

٢- السياسة الخارجية لأسرة يوان المغولية تجاه دول الشرق الأقصى ..... ٦٩ - ١٠٠

مروة صلاح الدين محمد

٣- تحديد مكان المعركة وزمانها في عصر المماليك البحرية ... ١٠١ - ١٣٧

سماح عبد المنعم السلاوي

٤- الدين والأدب وحركة التأليف والترجمة في الحبشة في عهد الأسرة السليمانية ٧١٤-٩٦٧هـ/ ١٣١٤-١٥٥٩م ١٣٩ - ١٨٢

محمد جاب الله علي عبد الحميد أبو خشيم

٥- الحج إلى مكة الطرق والمناسك دراسة مقارنة بين رحلتَي فارتيما وبتس ..... ١٨٣ - ٢٤٨

محمد فوزي مصري رحيل

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط ٨ (٢٠٢٠)، ١٠١– ١٣٧

تحديد مكان المعركة وزمانها في عصر المماليك البحرية

سماح عبد المنعم السلاوي(١)

الملخص:

قامت الدولة المملوكية استجابة لظروف سياسية وعسكرية؛ فقد نشأت وسط حروب عديدة هددت البلاد الإسلامية، فأصبحت دولة حربية بالدرجة الأولى، وهذا جعلها ذات طابع حربي قوى، واستطاعت أن تكون جيشًا قويًا، ولعل أهم ما تميزت به العسكرية المملوكية هي سياسة إعداد الخطط العسكرية التي تحقق لهم التمكين والنصر، ومنها مهمة اختيار الزمان والمكان للمعركة؛حيث كان السلطان المملوكي يعقد مجلس شورى الحرب مع الأمراء ليتفق معهم لوضع خطة قبل لقاء العدو وكيفية سير المعركة وتحديد الزمان والمكان. وقد كان لهذه المهمة تأثيرًا على سير المعركة ونهايتها سواء بالانتصار أو الهزيمة،حيث تبدو لنا هذه المهمة أقوى بكثير من الاستعداد العسكري وإعداد تشكيلات الجيش.

الكلمات المفتاحية: مماليك- المغول – الصليبيون – أرمينية – الظاهر بيبرس – قلاوون – عين جالوت – قيسارية – أرسوف.

---

(١) دكتوراه تاريخ العصور الوسطى، كلية البنات – جامعة عين شمس

Abstract:

The Mamluk state was established in response to political and military circumstances. It arose in the midst of many wars that threatened the Islamic countries, and became a war state in the first place, and this made it a strong war character, and was able to be a strong army, and perhaps the most important feature of the Mamluk military is the policy of preparing military plans that achieve empowerment and victory for them, including the task of choosing time And the place for the battle, where the Mamluk Sultan used to hold a war consultative council with the princes in order to agree with them to develop a plan before meeting the enemy, how the battle would proceed, and determining the time and place. This mission had an impact on the course of the battle and its end, whether by victory or defeat, as this mission seems to us much stronger than the military preparation and preparation of army formations.

key words: Mamluks - Mongols - Crusaders - Armenians - Zahir Baybars - Qalawun - Ain Jalut - Caesarea - Arsuf.

التمهيد:

بدأ الاعتماد الفعلي على العنصر المملوكي في الخدمة العسكرية منذ العصر العباسي الأول، حينما قام الخليفة المعتصم (٢١٧-٢٢٦هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) بشراء عدد من العبيد الأتراك وتربوا وتعلموا في بغداد وصاروا في خدمة الخليفة والخلافة العباسية، ودخل بعضهم في الخدمة العسكرية فشاركوا في المعارك والحروب،واستقلوا بالسلطة في بعض البلدان الخاضعة للخلافة العباسية واصبح لهم أدوار مهمة.

ومع مرور السنوات استطاع المماليك تأسيس دولة قوية امتدت سلطتها على مصر والشام والنوبة وبلاد الحجاز، وامتد حكمهم على مدى قرنين ونصف بين عامي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، وهؤلاء المماليك بداية من المعز أيبك حتى الأشرف طومان باي دافعوا عن الدين والوطن ضد الصليبيين والمغول والغرب الأوربي فأحرزوا انتصارات ساحقة عليهم، وجنود المماليك طبقة عسكرية غريبة عن البلاد والعباد حكمت بقوة فروسيتها وبراعة سلاحها وذكاء وشجاعة فرسانها وحملت على عاتقها مهمة جسيمة ألا وهي الدفاع وحماية العالم الإسلامي ضد الأخطار الخارجية.

وهكذا قامت الدولة المملوكية استجابة لظروف سياسية وعسكرية في العالم الإسلامي جعلت المماليك يثبتون قدرتهم وتفوقهم العسكري فأصبحت دولة حربية بالدرجة الأولى، فقد نشأت وترعرت وسط حروب عدة كانت تهدد البلاد الإسلامية،وقد برزت القوة العسكرية للمماليك بوضوح أثناء التصدي للحملة الصليبية السابعة، ومع بداية نشأتها كان عليها مواجهة خطر أعظم وهو الخطر المغولي المدمر، وهذا الأمر جعلها ذات طابع حربي قوي واستطاعت أن تكون لنفسها جيشًا قويًا، ولا عجب

في ذلك فهم في الأصل نشأوا وتربوا تربية عسكرية واشتهروا بالفروسية والشجاعة والبسالة.

وإذا كانت الدولة المملوكية قد ورثت عن الدولة الأيوبية مهمة الدفاع عن العالم الإسلامي، فإنها أيضًا ورثت عنها الكثير من النظم ولكنها لم تكتف بذلك بل سعت في تطوير وتهذيب تلك الأنظمة ورتبتها أحسن ترتيب وفاقت سائر الممالك. ومن تلك الأنظمة التنظيمات العسكرية؛ فقديمًا قال محمد بن منكلي " الجند هم زهرة المملكة وبهجتها فينبغي أن يكونوا كما ذكر فرسان النهار ورهبان بالليل. وحينئذ يكونون من أهل الحروب ومن رجال التعابي"، ومن هنا حرص سلاطين المماليك على تدريب وتحسين أداء الفارس المملوكي ليصبح فارسًا متميزًا يتحدى الصعوبات والعقبات في سبيل تحقيق النصر على العدو. فالجيش هو الدعامة الأولى التي يستطيع بها تحقيق أهدافه بضرب الصليبيين واسترداد ما استولوا عليه من بلاد الشام ودحض التدخلات المغولية لذلك أولاه سلاطين المماليك عناية كبيرة وعمدوا إلى تقويته والإكثار من شراء المماليك وأخذوا يعدونهم إعدادًا حسنًا بتربيتهم وتدريبهم على فنون العسكرية وأدوات القتال المختلفة والأساليب القتالية، فأصبحت الفروسية المملوكية محور النظام المملوكي، ووجدنا العديد من المؤلفات الحربية في ذلك العصر تتناول أحكام الجهاد والتدريبات العسكرية للفارس المملوكي وأنواع الأسلحة وكيفية استخدامها في الحرب وكذلك المكائد والحيل المتبعة والتي نطلق عليها اليوم التخطيط الاستراتيجي، ولعل أبرز وأهم ما تميزت به العسكرية المملوكية هي سياسة الجيش المملوكي في إعداد الخطط العسكرية التي تحقق لهم التمكين والنصر، ومنها مهمة اختيار الزمان والمكان للمعركة حيث كان السلطان المملوكي يعقد مجلس شورى الحرب مع الأمراء ليتفق معهم لوضع خطة قبل لقاء العدو وكيفية سير المعركة وتحديد الزمان والمكان. وقد كان لهذه المهمة

تأثيرًا على سير المعركة ونهايتها سواء بالانتصار أو الهزيمة. حيث تبدو لنا هذه المهمة أقوى بكثير من الاستعداد العسكري وإعداد تشكيلات الجيش.

ويعتبر تحديد القائد العسكري لوقت الهجوم أو استطلاع معسكر العدو والسيطرة على قواته ليلا في ضوء القمر أفضل من الاستطلاع النهاري في ضوء الشمس نظرًا لسهولة الاختباء وحرية تحرك القوات في أمان، كذلك كان تحديد الموعد صيفًا أو شتاء مع العلم بطبيعة العدو وظرف بلاده المناخية التي يعيش فيها. وهكذا ادخلوا في حساباتهم حركة الشمس الظاهرية والفصل الذي يتحركون فيه وهذا يمكن تسميته بخطة دراسة المناخ والطقس. أما اختيار مكان المعركة فكان يستلزم دراسة وافية لجغرافية المكان وطبيعة أرض المعركة سواء كانت سهلية أو جبلية وبالتالي كيفية الاستفادة من المكان لإحراز النصر على العدو وكذلك استدراج العدو لمكان ما مناسب للجيش المملوكي.

أسباب اختيار الموضوع: يرجع سبب ذلك إلى ندرة الدراسات التي تتناول الموضوع رغم أهميته، فإذا اختار القائد العسكري زمان ومكان مناسبين مع الإعداد العسكري وتدريب الفرسان فسوف يؤدي ذلك حتمًا إلى الانتصار على العدو، وكذلك للتعرف على كيفية قيام القائد المملوكي باختيار زمان ومكان المعركة وكيف درس طبيعة المكان الجغرافية ومدي الاستفادة منه، وكذلك السبب في اختيار التوقيت لبدء المعركة أو الهجوم على موقع تمركز العدو، بالإضافة إلى رغبتي في إلقاء الضوء على احد طرق التخطيط العسكري من خلال المصادر الحربية المعاصرة مع مقارنة ما جاء فيها من قواعد وإرشادات للقائد العسكري عند اختياره للزمان والمكان بما حدث فعليًا في المعركة.

الدراسات السابقة:

لم يتبين في حدود علم الباحث وجود دراسة وافية متكاملة متخصصة عن كيفية اختيار الزمان والمكان وأثر ذلك على سير المعركة أو على طريقة الهجوم والدفاع، وما أطلعت عليه من دراسات سابقة تتناول الجانب العسكري والفن الحربي في العصر المملوكي وتركز أغلبها على الوظائف العسكرية وتكوين الجيش ومراحل تربية وتدريب الفارس المملوكي، وهناك دراسات أخرى تناولت سرد أحداث ووقائع المعارك الحربية وقصص عن بطولات القادة المسلمين واهتمت بتفاصيل المعركة من حيث أسبابها ونتائجها دون البحث عن عوامل وأسباب الانتصار أو الهزيمة للجيش المملوكي. وأهم هذه العوامل هو التخطيط المتميز للقائد المملوكي ويقصد به التجهيزات العسكرية وخطة العمل أثناء المعركة ودور كل فرقة في الجيش وخاصة تخطيط اختيار الزمان والمكان والأسباب التي دعت القائد لذلك الاختيار وكيف استفاد من ذلك الاختيار لتحقيق النصر.

المنهج المتبع في الدراسة: اتبع الباحث منهج البحث التاريخي، وأدوات هذا المنهج متمثلة في التحليل والتعليل والاستقراء لنماذج من المعارك والحروب التي خاضها سلاطين المماليك.

وقد قسمت هذه الورقة البحثية إلى عدة عناصر كالآتي:

أولًا: أسس اختيار الزمان والمكان وأهميته.

ثانيًا: تأثير هذا الاختيار على سير المعركة من خلال دراسة لبعض المعارك الحربية منها:

- المعارك ضد المغول.
- المعارك ضد الصليبين.
- المعارك ضد أرمينية.

ثالثًا: الآثار الناتجة عن سوء اختيار الزمان والمكان.

- الخاتمة والنتائج.

أولًا- أسس اختيار الزمان والمكان وأهميته:

من الجدير بداية توضيح المقصود بالزمان والمكان من الناحية الحربية، حيث يعتقد البعض من الوهلة الأولى أن مهمة اختيار الزمان والمكان وقت الحروب يتعلق بزمان ومكان معركة ما، ولكن بعد القراءة والاطلاع على عدد من المعارك الحربية في العصر المملوكي تبين أن المقصود باختيار المكان ليس متعلقًا بمكان المعركة فقط ولكن يقصد به أيضًا اختيار الطرق المناسبة لسير الجيش وتحديد الطرق والمسالك التي تؤدي به إلى المكان المتفق عليه، أو اختيار مكان للاستيلاء عليه-هذا ما يطلق عليه المناطق الحيوية- سواء كان مدينة أو قلعة أو حصن لأن موقعه استراتيجي وسوف يحقق التأمين للجيش أو استخدامه كمين لمراقبة العدو والهجوم عليه، أو ليكون وسيلة للضغط على العدو فتضعف معنوياته ويسهل على الجيش الانتصار عليه وتدميره، كما يمكن استدراج العدو إلى مكان يختاره القائد المملوكي، ويرى أن هذا الموقع يساعده في السيطرة على المعركة والتحكم في مجريات الأحداث لصالحه. أما الزمان يقصد به اختيار القائد المملوكي وقت المعركة سواء ليلًا أو نهارًا، وكذلك وفقًا لفصول السنة وحالة المناخ ومدى تأثير ذلك على جيش العدو واستغلال الظروف المناخية لصالح الجيش المملوكي، أو اختيار وقت لا يتوقعه العدو فتحدث المفاجأة وتضطرب صفوفه، أو افتعال الوقت وانتظار تطور وتغير أحوال العدو وانتهاز الوقت المناسبة للهجوم.

اختيار المكان:

تتوقف نسبة النجاح في المعركة على حشد القوات القتالية في الزمان والمكان المناسبين، حيث تساهم طبيعة الأرض من الناحية التركيبية والمظهرية دورًا مهما في المعارك الحربية، ويمكن للقائد العسكري أن يستغل ذلك لصالح قواته ولإعداد الخطة الدفاعية والتجهيزات العسكرية المناسبة وتوزيع القوات، ولذا يجب عليه التعمق في معرفة وضعية الأرض، والقائد العسكري الناجح في عملياته الحربية هو الذي ينجح في معرفة طبيعة أرض المعركة واستغلالها والانتفاع بها في حماية قواته وتحقيق السلامة لهم. ولذلك كان على السلطان المملوكي أو قائد الجيش أن ينزل الجيش في المناطق المرتفعة والأراضي السهلية ولا ينزل في المواضع المنخفضة خوفاً من السيول(٢)، فإذا كانت المنطقة جبلية فيجب على القائد أن يجعل الجبال والتلال ظهرًا وسندًا لقواته وأن يكون موضع القلب على جبل وما شبه ذلك من أرض صلبة ليست ترابية تثير الغبار (٣)، فالسيطرة على الجبال تمكن القائد من امتلاك زوايا للرؤية المناسبة لجيش العدو وتحركاته وكذلك تأمين نفسه وقواته وبذلك يكون امتلك موقعًا حيويًا في عمق مسرح المعركة. فالجبال تعتبر حصونًا طبيعية تحمي من هجوم العدو،كما أن الجيش

---

(٢) الهروي (علي بن أبي بكر الهروي السائح توفي ٦١١هـ/ ١٢١٥م):التذكرة الهروية في الحيل الحربية، القاهرة-مكتبة الثقافة الدينية،ب.ت،١٧.

(٣) الهرثمي (أبو سعيد الشعراني توفي ٢٠٠هـ/ ٨١٦م): مختصر سياسية الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، محمد مصطفي زيادة، سلسلة تراثنا،القاهرة- المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، ب.ت، ٣١،٣٣، ٤٩؛ الأنصاري (سراج الدين أبي حفص عمر بن إبراهيم الأوسي توفي ٧٥١هـ/ ١٣٥١م): تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق وترجمة جورج سكانلون، القاهرة-منشورات الجامعة الأمريكية،١٩٦١م، ٥٩.

الذي يستند إلى الجبل يستطيع الاستفادة من صخوره ومسالكه، وهذه المميزات تجعل هناك توازنًا وتكافؤ يعوض النقص في العدد والعتاد خاصة مع عدو يملك جيشاً بأعداد ضخمة كالمغول. والأرض الصلبة ليست ترابية أو طينية أفضل لتحرك الجيش لأن الطين ذلك يعوق الحركة ويعطل الجيش والغبار يضايق الأنفاس فيؤثر ذلك على تحركات الجند وكفاءتهم القتالية. وأما المكان الذي به ماء وعشب وخصب أفضل بكثير للجيش حيث يسمح له بالتخفي بين الأشجار ومباغتة العدو في الوقت المناسب أو التأخر عنه والتراجع عن فكرة الهجوم (٤)

أما اختيار مكان معسكر القوات أو الكمين فمن الأفضل أن يكون مكانًا مخفيًا مستورًا عن أعين العدو وقريب من نهر جاري يحدث صوتًا فلا يستطيع العدو معرفة ما يحدث في المعسكر (٥) أما اختيار الطرق الآمنة المؤدية إلى أرض المعركة فإذا أراد القائد العسكري أن يصل بجيشه إلى المكان المتفق عليه سالمًا بدون خسائر أو عقبات فعليه اختيار الطرق والمسالك والدروب الآمنة بعيدة عن المخاطر والتهديدات وذلك بارسال فرق استطلاعية لدراسة أحسن اسهل واقصر الطرق إلى مواقع العدو.

اختيار الأوقات المناسبة:

من الأوقات غير المتوقعه للهجوم وتعد نقطة ضعف العدو، وقت الليل حيث يفضل للجيش أن يتحرك ليلًا لأن فيه تأمين للقوات و يصعب على العدو تتبعه وفيه أيضًا اتخاذ تدابير الحيطة والحذر كما أن ذلك يحقق مبدأ مفاجأة العدو أو عند الفجر. ففي الحديث الشريف على لسان أنس بن

(٤) الهرثمى:مختصر سياسة الحروب، ٣١؛ الأنصارى: تفريج الكروب، ٥٩.

(٥) الهرثمى: مختصر سياسة الحروب، ٥٠، الأنصارى: تفريج الكروب، ٦٧.

مالك:" أن الرسول كان يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذانًا أمسك وإلا أغار...." (٦)، وكان إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتىٰ تزول الشمس وتهب الريح وينزل النصر(٧) مما يعني أن الرسول كان يكمن بالنهار ويتحرك بقواته ليلًا ويهاجم في الصباح.حيث يكون العدو نائمًا أو غير مستعد للقتال أما الفرسان المهاجمون يكونوا قد استغلوا فترة الليل ليقتربوا من موقع العدو أو وقت زوال الشمس لحساب انحسار الظل أو ميله أو عند هبوب الرياح.(٨) وهنا يتحقق هدفان؛ الأول الاقتراب السريع من العدو والثاني المفاجأة وقت الهجوم. وعلىٰ القائد أيضًا أن يحرص علىٰ أن تكون الرياح والشمس من وراء ظهر قواته (٩)، وإذا لم يستطع ذلك فيحاول الانحراف بقواته بحيث لا يواجهون هبوب الرياح فتؤذي عيونهم برمالها وبريق سلاح العدو (١٠)، كما أن الرياح تؤثر علىٰ حركة السهام

---

(٦) صحيح مسلم، باب الصلاة، الإمساك عن الإغارة، ج١،ص ٢٨٨، حديث رقم ٣٨٢.

(٧) الدينورىٰ(أبىٰ محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة توفي ٢٧٦ه/ ٨٨٩م): عيون الأخبار، ج١، بيروت- دار الكتاب العربىٰ، عن طبعة دار الكتب المصرية،١٩٢٥م، ب.ت، ١٢٢، العز بن عبد السلام (أبو محمد عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبىٰ القاسم توفي ٦٦٠ه/ ١٢٦٢م): أحكام الجهاد وفضائله، تحقيق إياد خالد الطباع،بيروت- دار الفكر، ١٩٩٦م، ٥٥.

(٨) ابن منكلىٰ (جلال الدين محمد بن محمود توفي ٧٨٤ه/ ١٣٨٢م): الأدلة الرسمية في التعابىٰ الحربية، تحقيق محمود شيت خطاب، بغداد-مطبعة المجمع العلمىٰ العراقىٰ، ١٩٨٨م، ٢٢٠، ٢٢٤، ياسين سويد: الفن العسكرىٰ الإسلامىٰ، بيروت -شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،١٩٩٠م، ٢٩٨.

(٩) الدينورىٰ: عيون الأخبار١، ١١٣، الهرثمىٰ: مختصر سياسة الحروب، ص ٣٣، الهروىٰ السائح، التذكرة الهروية، ٢١، الأنصارىٰ: تفريج الكروب، ٧٠.

(١٠) الهرثمىٰ: مختصر سياسة الحروب، ٣٣، الهروىٰ السائح: التذكرة الهروية،٢١، الأنصارىٰ: تفريج الكروب، ص ٧٠.

والقوس ويعجز الفارس عن القتال بجدية (١١)

وقديما قالت العجم:" أخر الحرب ما استطعت، فإن لم تجد بُدًا فاجعل ذلك آخر النهار ".(١٢) فالقتال أخر ساعة في الصيف أفضل أما في الشتاء فتكون أبرد ساعة للهجوم أفضل (١٣)، بالإضافة إلى ذلك كان قائد الجيش يحدد المكان وفقاً لمناخه؛ فالمشرق حار رطب والمغرب بارد رطب والشمال بارد يابس والجنوب حار يابس (١٤)، أما وقت الخروج من الكمين يكون ظهرًا في حالة غفلة العدو أو عند إراحة خيولهم ودوابهم للطعام والشراب(١٥).

وقد كانت غالبية مصافات الجيش المملوكي الهجومية تقع إما صباحًا قبل اشتداد الحر أو عصرًا تفاديًا لوقوع أشعة الشمس خوفًا من انعكاس أشعة الشمس على العيون فتضعف الرؤية وكان يراعى هذا عند تحديد توقيت الهجوم، هذا إلى جانب أنهم ادخلوا في حساباتهم حركة الشمس الظاهرية والفصل الذي يتحركون فيه (١٦) فأحيانًا كان اختيار الوقت الغير مناسب يسبب خسارة للجيش وعن ذلك يحدثنا المؤرخ أبو الفدا أثناء تواجده في الجيش المتجه لفتح عكا عام ٦٩٠هـ / ١٢٩٠م أيام السلطان الأشرف " وكان مسيرنا بالعجل في أواخر فصل الشتاء، فاتفق وقوع

(١١) ابن منكلى: الحيل في الحروب وفتح المدائن والحصون، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة –دار الكتب المصرية،، ٢٠٠٠م، ٩٨.

(١٢) الدينورى: عيون الأخبار١، ١٢٢.

(١٣) الهرثمى: مختصر سياسة الحروب، ٥٠.

(١٤) محمد بن منكلى: الأدلة الرسمية، ٢٠١.

(١٥) الهرثمى: مختصر سياسة الحروب، ٥٠، الأنصارى: تفريج الكروب، ٧٢.

(١٦) محمود نديم فهمى: الفن الحربى للجيش المصرى في العصر المملوكي، القاهرة –الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ١٦٧.

الأمطار والثلوج علينا بين حصن الأكراد ودمشق، فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل، وضعف البقر وموتها بسبب البرد، وسرنا بسبب العجل من حصن الأكراد إلى عكا شهرًا، وذلك مسيرة ثمانية أيام للخيل على العادة"(١٧)

ويؤكد ابن إياس على دقة السلاطين الأوائل في اختيار توقيت المعركة حيث كانوا " يخرجون إلى البلاد الشامية عندما تنتقل الشمس إلى برج الحمل في أوائل الربيع والوقت رطبًا ولكن السلطان الغوري سافر في شدة الحر والشمس عمودية على السرطان فحصل للعسكر مشقة شديدة في الطريق (١٨).

ثانيًا- تأثير هذا الاختيار على سير المعركة:

- أولًا: المعارك مع المغول:

- **معركة عين جالوت ٦٥٨ه/ ١٢٦٠م (اختيار الزمان والموقع الجبلي والأحراش)**

عين جالوت هي بليدة شرق دارين بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين (١٩) وقعت المعركة في صباح يوم الجمعة ٢٥رمضان ٦٥٨هـ/

---

(١٧) أبو الفدا(المؤيد عماد الدين إسماعيل بن على توفى٧٤٢ه/ ١٣٤٢م): المختصر في أخبار البشر ج٤، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة - دار المعارف،١٩٩٩م، ٣٤.

(١٨) ابن إياس(محمد بن أحمد الحنفي المصرى):بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج٣،تحقيق محمد مصطفي،القاهرة – دار الكتب العربية،١٩٤٨م، ٣٥.

(١٩) الحموى(أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله توفي ٦٢٦ه/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، ج٤، بيروت- دار صادر،ب.ت، ١٧٧، موسوعة فلسطين الجغرافية، بيروت -مركز أبحاث المنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩م، ١٥-١٦.

يوليو١٢٦٠م وبدأت بقيادة بيبرس لفرقة عسكرية متجهًا إلى غزة حيث تمركز هناك القائد المغولي بيدرا وطلب نجدة من القائد كتبغا المقيم بحلب(٢٠) فانتهز المماليك الفرصة وبادروا بالهجوم واحتلوا غزة وطاردوا المغول حتى نهر العاصي (٢١) أما السلطان قطز فقد "طلع الجبل الذي يعلو عين جالوت وأقام طوال ليله "(٢٢) وفي الصباح هاجم المغول ميسرة الجيش المملوكي وتعرضت إلى ضغط شديد فانسحبت قليلًا فتقدم قطز بالمساعدة ثم انسحب القلب للخلف متظاهرًا بالفرار وتبعهم المغول حتى استدرجوه إلى المكان المتفق عليه وعندئذ تقدمت الميمنة والميسرة والفرسان تمكنوا من سد الثغرة وإحاطة المغول من ثلاث جهات فاختل توزانهم وخسروا المعركة وقتل قائدهم كتبغا (٢٣) وكانت الميمنة مختفية بين الأحراش والأشجار بعين جالوت ولم يستطع فرسان المغول اختراقها لكثرة السواقي والأشجار.

---

(٢٠) الهمذانى (رشيد الدين فضل الله توفي ٧١٨ه/ ١٣١٨م): جامع التواريخ م٢ ج١، ترجمة محمد صادق نشأت،أيمن فؤاد الصياد،محمد موسى هنداوى،القاهرة - وزارة الثقافة والارشاد،١٩٦٠م، ٣١٣، المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر توفي سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ق٢،تحقيق محمد مصطفي زيادة،القاهرة -دار الكتب المصرية،٤٣٠، أحمد حطيط:حروب المغول، بيروت- دار الفكر اللبنانى ١٩٩٤م.

(٢١) الهمذانى: جامع التواريخ م٢ ج١، ٣١٣.

(٢٢) ابن عبد الظاهر(محيى الدين بن عبد الظاهر توفي ٦٩٢ه/ ١٢٩٣م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م، ٦٤.

(٢٣) الهمذانى: جامع التواريخ م٢ج١: ٣١٤، المقريزى: السلوك ج١ق٢:٤٣٠-٤٣١، ابن تغرى بردى(جمال الدين أبى المحاسن يوسف توفي ٨٧٤ه/ ١٤٧٠م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج٧، القاهرة - دار الثقافة والإرشاد،١٩٣٨م، ٧٩، ابن أيبك الدوادارى(أبى بكر بن عبد الله توفي ٧٣٦ه/ ١٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر ج٨، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م، ٤٩-٥٠.أنظر، خريطة (١)

وكان لوصول المماليك في تلك اللحظة واتخاذ القرار السريع بالهجوم أثر بالغ الأهمية على المسلمين في المدن الشامية الذين اضطروا للخضوع للمغول وحلفائهم المسيحيين الشرقيين فثاروا عليهم ونهبوا دورهم وأخربوا كنيسة مريم انتقامًا منهم (٢٤)،وقد تتبع بيبرس القوات المغولية الهاربة ونصب لهم كمين شرقي بيسان وهو الطريق المحتمل لانسحاب المغول وفقًا لتوقعاته وبتوقيت معين وعند اقترابهم من الكمين اندفعت الفرقة العسكرية المملوكية نحوهم وقتل العديد منهم (٢٥) وآخرون اعتصموا بالتلال المجاورة لمكان المعركة فتتبعتهم القوات المملوكية حتى أفنوهم (٢٦)

وهكذا أثبتت معركة عين جالوت ذكاء الفارس المملوكي ووعيه بالتجهيزات القتالية بكل عناصرها وأنه طبق المباديء الحربية حتى تحقق له النصر على المغول حيث أنه لم ينتظر هجوم المغول على مصر ولم يقم بالتحصينات كما فعلت المدن التي غزاها المغول (٢٧) بل نقل أرض المعركة خارج الأراضي المصرية وطبقوا مبدأ الاستباقية ومباغتة العدو في أرضه

---

(٢٤) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٣: ٢٤٤، المقريزى: السلوك،ج١ق٢:٤٢٥، ٤٣٢، ابن أيبك الدوادارى، كنز الدرر، ج٨، ٥٢، اليونينى، قطب الدين أبى الفتح موسى بن محمد بن أحمد توفي ٧٢٦ه/ ١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان،ج١، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية،١٩٥٤م، ٣٦٢.

(٢٥) الشهابى (حيدر بن أحمد توفي ١٢٥١ه/ ١٨٣٥م):الغرر الحسان في تواريخ الزمان، تحقيق نعوم مغبب،القاهرة –مطبعة السلام، ١٩٠٠م، ٤٣٩، محمد راجح نصر الله: التنظيمات العسكرية والفن الحربى عند المماليك، دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بيروت، ٢٠١٦م، ١١٠.

(٢٦) ابو الفدا: المختصر ٣: ٢٤٥، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٦٥، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٧: ٧٩، اليونينى، ذيل مرآة الزمان ١: ٣٦١.

(٢٧) فؤاد عبد المعطى الصياد:المغول في التاريخ، ج١، بيروت- دار النهضة العربية،١٩٨٠م، ٣٠٦، إبراهيم أحمد العدوى: العرب والتتار،القاهرة – المكتبة الثقافية،١٩٦٣م، ١٢٢.

وهذا لم يتوقعه المغول كما أنه استغل جغرافية المكان وأخفي معظم قواته في البساتين والأحراش ولم يظهر للعدو سوى فرقة واحد كان يقودها الظاهر بيبرس فوقع القائد المغولي كتبغا في الفخ إذا اعتقد أن هذه الفرقة هي الجيش المملوكي فهاجم بكل قواته ولم يحتفظ بقوات احتياطية فهزم جيشه. وقد تقهقر المماليك أول الأمر وأطمعوا فيهم المغول مما دفعهم لتعقب المماليك حتى بلغوا المكان الذي اختاره المماليك لاستكمال المعركة وهم بذلك استدرجوا العدو وأجبروه على القتال في مكان متميز لهم وعندئذ هجم المماليك عليهم من ثلاث جهات واحاطوا بهم من ثلاث جهات.

وقد اختار قطز مكان الدفاع في منطقة سهل مرج ابن عامر بين جبلي الضحى وجلبوع مستفيدًا من طبيعة الأرض في هذه المنطقة التي كانت تتميز بأنها أرض منبسطة واسعة تساعد على تحرك الجيش بحرية. كما أن الأرض بين جبلي الدحى وجلبوع ضيقة إذ تكثر فيها الأدغال والأشجار والوديان قرب حافات جلبوع وكذلك بينه وبين نهر جالوت وبالتالي فالمنطقة لا تساعد الفرسان على الحركة.[٢٨] أما بيسان فتقع في غور الأردن وتكثر حولها المستنقعات.

أما زمن المعركة فكان في فصل الصيف وفي الصباح الباكر مع بزوغ الفجر،وذلك التوقيت له ميزة حيث المناخ شديد الحرارة بعكس ما تعود عليه المغول في بلادهم فقد اعتادوا على المناخ القاري شديد البرودة [٢٩] كما

(٢٨) أرتور إسرايليان: فن الحرب في العصر المملوكي الأول، دكتوراة غير منشورة،جامعة دمشق، ٢٠٠٧م،١٨٢.

(٢٩) السيد الباز العرينى: المغول،بيروت-دار النهضة العربية،١٩٨١م، ٦، عبد العزيز فهمى: تاريخ الدولة المغولية في إيران، القاهرة، ١٩٨١م، ١٢.

اختار قطز الوصول إلى عين جالوت قبل القوات المغولية بيوم واحد [٣٠] بهدف إخفاء قواته في التلال والأحراش. وكذلك روي عن قطز أنه قال لأمرائه وجنوده يوم عين جالوت حينما رأى جيش المغول:" لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفيء الظلال وتهب الرياح، ويدعوا لنا الخطباء والناس في صلاتهم " [٣١]

- **معركة إلبيرة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م (اختيار الموقع الجبلي):**

في ٩ ربيع الأول٦٧١هـ/ ١٢٧٢م هاجم جيش مغولي قلعة إلبيرة وحاصرها بهدف الاستيلاء عليها وعسكروا في نقطة معينة لإعاقة القوات المملوكية عبور نهر الفرات[٣٢] وهنا سار بيبرس والجيش المملوكي حتى معسكر التتار وأشرف عليهم من أعلى الجبل [٣٣]،وقد حمل بيبرس من حمص مراكب الصيادين على الإبل لعبور الفرات وعند النهر وجد المغول

---

(٣٠) الصفدى(الحسن بن أبى محمد عبد الله بن عمر توفي بعد ٧١٧ه،١٣١٣م): نزهة المالك والملوك في مختصر سيرة من ولى مصر، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى،صيدا، المكتبة العصرية،٢٠٠٣م، ١٤٩.

(٣١) ابن كثير، أبو الفدا الحافظ إسماعيل بن عمر القرشى توفي ٧٧٤ه/ ١٣٧٣م): البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة – دار الحديث،١٩٩٨م، ٢٥٥.

- سميت هذه المعركة كذلك بواقعة الفرات ووقعة جنقر مقدم الفرقة العسكرية المغولية الذى عبر الفرات.

(٣٢) ابن عبد الظاهر:الروض الزاهر، ٤٠٥-٤٠٦، ابن أيبك الدوادارى: كنز الدرر٨: ١٧٠، الدودار (ركن الدين بيبرس المنصورى الناصرى الخطائى الدودار توفي ٧٢٥ه/ ١٣٢٥م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد ريتشاردز، بيروت- الشركة المتحدة للتوزيع، ١٣٧، المقريزى: السلوك ج١ق٢: ٦٠٦، اليونينى، ذيل مرآة الزمان٢:٣.

(٣٣) المنصورى الدودار: زبدة الفكرة، ١٣٧، العينى (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى توفي سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٢، تحقيق محمد محمد امين، القاهرة – الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ١٠١.

مرابطين وقد أعدوا مكيدة للمماليك ولكنه انزل المراكب وعبر النهر وانتشرت العساكر يمينًا وشمالًا فقتلوا وأسروا عددًا كثيرًا من المغول (٣٤) وهذا الموقع الجبلي ساعد بيبرس على كشف معكسر المغول الذين عسكروا عند مخاضة القاضي على نهر الفرات وبالتالي درس طبيعة المكان وبناء على ذلك أعد خطة الهجوم على المغول.

- **معركة الأبلستين ٦٧٥ه/ ١٢٧٧م (اختيار مكان جبلي يشرف على صحراء مكشوفة):**

وقعت المعركة في ١٠ ذي القعدة عام ٦٧٥هـ/ ١٤ ابريل١٢٧٧م حينما علم السلطان الظاهر بيبرس بأن المغول " قربوا وثابوا ووثبوا واستعدوا وطلبوا وأنهم أثنى عشر طُلبًا " حينها استعد بجيشه واختار موقعًا متميزا فوق جبال مشرفة على صحراء هوني في بلاد الأبلستين (٣٥) وهنا قد استطاع بيبرس أن يرى بوضوح الجيش المغولي مطلًا عليه من مرتفعات إلبرز (٣٦) وبالتالي رصد تحركات العدو ومعرفة عدد قواته وإمكانياته مما ساعده على وضع خطة الهجوم المناسبة وتحقيق النصر عليهم.

(٣٤) ابن عبد الظاهر:الروض الزاهر، ٤٠٦-٤٠٧، ابن أبى الفضائل (ابن العسال مفضل توفي ٧٥٩ه/ ١٣٥٨م):النهج السديد والدر الفريد، تحقيق محمد كمال عز الدين، دمشق، دار سعد الدين، ٢٠١٧م، ١٩٢، المقريزى:السلوك ج١ق٢: ٦٠٦-٦٠٧، ابن ايبك الدودار: كنز الدرر ٨، ١٦٩-١٧٠، ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة: ٧، ١٥٨-١٥٩.

(٣٥) المنصورى الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ١٥٤، المقريزى: السلوك ج١ق٢: ٦٢٨-٦٢٩، ابن أبى الفضائل: النهج السديد، ٢٢١، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٤٥٨، العينى:عقد الجمان ٢، ١٥٧.

(٣٦) جبال إلبرز أو إلبرُس: هى سلسلة جبال في شمال بلاد إيران تحد هضبة أيران من ناحية بحر الخزر، انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، بيروت-دار المعرفة،ب.ت، ٥٠٥.

وقد خرج الجيش المغولي ليتصدي للقوات المملوكية وعسكر ليلًا في سهل الأبلستين علىٰ الجانب الأخر من نهر جيحان (٣٧) وبالتالي كان الجيش المملوكي في موقع مرتفع عنهم"فاقبلوا من علو الجبل.... وقاتلوا قتالًا شديدًا وحملت فرقة منهم خلف السناجق السلطانية فحمل السلطان عليهم فانجلت الحرب عن قتل التتار" (٣٨) وهنا كان تمركز الجيش المملوكي في الصحراء علىٰ أرض منبسطة ومكشوفة واتبع عنصر المفاجأة والسرعة في التوقيت والحركة.

- **معركة شقحب (مرج الصُفر) (٣٩) (اختيار الزمان والمكان الجبلي):**

كانت بعد غزو غازان المغولي علىٰ الشام وتدمير دمشق وحلب وغزة بثلاث سنوات، وقد وقعت في ٢رمضان ٧٠٢هـ/ ١٩ ابريل١٣٠٣م. فبعد موقعة مرج المروج قرر غازان غزو الشام مرة أخرىٰ فقاد جيشًا جرارًا وعبر الفرات وسار قائده قطلوشاه إلىٰ الشام ووصلت الأخبار بذلك (٤٠) وفي

(٣٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر،٤٥٨،المفضل بن أبىٰ الفضائل: النهج السديد، ٢٢١،ابن أيبك الدودار:كنز الدرر٨: ١٩٨.

(٣٨) المقريزىٰ: السلوك ج١ق٢: ٦٢٩، ابن تغرىٰ بردىٰ: النجوم الزاهرة ٧:١٦٨، اليونينىٰ، ذيل مرآة الزمان ٣: ١٧٦.

(٣٩) شقجب: قرية في شمال غرب جبال غباغب من أعمال حوران من نواحىٰ دمشق في طرف مرج الصفر، انظر: الحمويٰ: معجم البلدان٤: ٤٩. وقد عرفت الموقعة بواقعة شقجب وغباغب فإنها مشتملة علىٰ طرف شقجب وغباغب والضمين وهىٰ أسماء قرىٰ في أراض وعرة ذات أحجار سوداء. انظر خريطة (٢)

(٤٠) المنصورىٰ الدودار: زبدة الفكرة، ٣٦٦، المنصورىٰ:التحفة المملوكية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة – الدر المصرية اللبنانية، ١٦٤، المقريزىٰ:السلوك ج١ ق٣،٩٣٠، مؤرخ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك،تحقيق زترستين،ايدن – مطبعة بريل،١٩١٩م، ١١٠.

شعبان تقدم الجيش المغولي إلى حماة وأرسل فرقة إلى بلدة القريتين فتصدى لهم نائب طرابلس في منطقة عُرض (٤١) واستمرت المعركة من منتصف النهار حتى العصر وأسفرت عن هزيمة الفرقة المغولية (٤٢) وأستأنف قطلوشاه زحفه إلى الشام وأستاء أهل دمشق من تأخر السلطان وخاصة بعد أن رحل بعض أمراء المماليك (٤٣)

ثم اجتمعت القوات المملوكية الشامية في مرج الصُفر منتظرين السلطان الناصر إلى أن أشرقت الشمس وارتفع النهار في يوم السبت وسقطت الأمطار الغزيرة لمدة ساعتين ثم أشرقت الشمس ومازال الفرسان على خيولهم وعندئذ وصل المغول مع وصول السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٤٤)، وعندئذ تقدم فرسان المماليك إلى مرج الصفر (الكُسوة) والتقوا بالسلطان عند عقبة شحور (بين دمشق والكُسوة) واتفقوا على اختيار مكان المعركة في شقحب تحت جبل غباغب(٤٥) وكان

---

(٤١) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٤: ٦١، المنصوري: زبدة الفكرة، ٣٧٣، ابن كثير،البداية والنهاية ١٤: ٢٥،العيني: عقد الجمان،ج٤،تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م،٢١٨-٢١٩، المقريزي: السلوك ج١ق٣: ٩٣١، مؤلف مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص ١١٠، عُرض: المنطقة الواقعة بين تدمر والرصافة، انظر: الحموي: معجم البلدان ٤:١٠٣.

(٤٢) اليونيني: ذيل مرآ ة الزمان، ج٤ مخطوط أحمد الثالث،اسطنبول،رقم ٢٩٠٧، ٧، المقريزي: السلوك ج١ق٣،:٩٣١، مؤرخ مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ١١٠، العيني: عقد الجمان ٤: ٢١٩-٢٢١.

(٤٣) المنصوري الدودار: زبدة الفكرة،٣٧٤- ٣٧٥، المقريزي،السلوك ج١ق٩٣١:٣-٩٣٢، ابن تغري بردي: النجوم٨: ١٥٨، العيني: عقد الجمان ٤:٢٢٣.

(٤٤)النويري(شهاب الدين أحمد عبد الوهاب توفي ٧٣٣ه/ ١٣٣٣م): نهاية الارب في فنون الأدب ج٣٢، تحقيق إبراهيم شمس الدين،بيروت- دارالكتب العلمية،٢٠٠٤م، ١٧-١٨،

(٤٥) المقريزي:السلوك ج١ق٣، ٩٣٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨:١٥٩، غباغب / قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق، انظر: الحموي، معجم البلدان ٣: ٨٧١.، وقد ذكره الصفدي باسم جبل الفُنيدق بسفح مرج الصُفر، انظر،الصفدي:نزهة المالك والمملوك، ١٨٥.

قطلوشاه في أعلى النهر (٤٦)

وفي ظهر يوم السبت ٢رمضان ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م تقابل الجيشان عند شقجب وتقدم قطلوشاه واصطدم بميمنة الجيش المملوكي ولكنهم استعادوا قوتهم بفضل بيبرس وسلار والسلطان وبقية العسكر مختفين حتى تمكنا من العدو وهزموه واستمرت الحرب وعندما انكسرت الميمنة أول الأمر اتبع المغول الأمراء المنهزمين ظنًا أنهم انتصروا وتوقف القتال وقت الغروب(٤٧) وصعد قطلوشاه ومن معه على جبل غباغب وعندئذ ظهرت قوات السلطان الناصر وبدأت الطبول تدق فدب الرعب في قلوب المغول واحاط المماليك بالجبل كالسوار أو كإحاطة الهالة بالقمر فهرب احد قادة المغول ومعه بعض الجند وتبعهم الفرسان المماليك (٤٨) وفي الليل ظل الأمراء في حراسة المعسكر وإيقاظ الجند فلما طلع فجر يوم الأحد اجتمعت العسكر ووقف كل واحد مصافه حتى ارتفعت الشمس ونزل المغول ودار

(٤٦) العيني:عقد الجمان٤:٢٣٢، المقريزي: السلوك ج١ق٣: ٩٣٢، ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة ٨،١٥٩.

(٤٧) المقريزي: السلوك ج١ ق٣: ٩٣٣-٩٣٤، العيني: عقد الجمان ٤:٢٣٥-٢٣٧، ابو الفدا: المختصر ٤:٦٢. المنصوري الدودار: زبدة الفكرة،٣٧٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٨: ١٦٠-١٦١.

(٤٨) ابن عبد الظاهر(علاء الدين علي بن محمد بن عبد الله توفي ٧١٧ه/ ١٣١٧م): الروض الزاهر في غزوة الملك الناصر، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى،بيروت- المكتبة العصرية،٢٠٠٥م،٤٦-٤٨، المنصوري: زبدة الفكرة،٣٧٧، التحفة المملوكية، ١٢٦، العيني: عقد الجمان ٤:٢٣٩، المقريزي: السلوك ج١ق٣: ٩٣٤-٩٣٥، ابن حبيب (الحسن ابن عمر بن الحسن بن عمر توفي ٧٧٩ه/ ١٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ١، تحقيق محمد محمد أمين،سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة -الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م،٢٤٨-٢٤٩، ابن أيبك الدودار: كنز الدرر٩، ٨٥-٨٦.

القتال بينهما حتى منتصف نهار الأحد ثم صعد قطلوشاه إلى الجبل ثانية(٤٩) وقد علم السلطان من احد أسرى المغول أن الجند على الجبل في شدة العطش وأنهم اتفقوا على النزول في السحر ومصادمة الجيش المملوكي(٥٠)، فلما اصبح نهار الاثنين نزل التتار أخر النهار ولم يتعرض لهم احد حتى وصولوا الى النهر وعندئذ هاجمهم المماليك وحصدوا رؤسهم وانتهت المعركة بهزيمة المغول هزيمة ساحقة (٥١)

وهكذا انتصر المماليك في ثلاثة أيام وليلتان بخطة غاية في الذكاء تمثلت في اختيار فترة سقوط الأمطار فقد كان لسقوط المطر في ذلك الوقت تأثير سلبي على التتار لأن مطر الشام أكثر ما يقع ناحية الغرب وكان التتار آتين من الشمال والمطر في وجوههم أما الجيش المملوكي كان المطر خلفهم فحينئذ حصل الوهن في جيش التتار (٥٢)، كما أن بعض المغول غرق بسبب كثرة مياه الأمطار والأوحال (٥٣)،والبعض الآخر تعثروا في الحركة فإما قتلى أو أسرى (٥٤)، كما كان اختيار المكان عاملًا سلبيًا على جند المغول فقد كانت تلك الأرض وعرة ولا يتمكن الفرس من وضع قدمه إلا على حجر فقاست خيول المسلمين من ذلك وأما التتار فكان الفارس منهم لا يستطيع

(٤٩) المقريزى:السلوك ج١ق٣: ٩٣٥، العينى: عقد الجمان ٤:٢٤٠، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٨، ١٦٢.

(٥٠) المقريزى: السلوك ج١ق٣: ٩٣٦، العينى: عقد الجمان٤: ٢٤٠، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١٦٢،٨.

(٥١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في غزوة الملك الناصر،٤٩،الصفدى:نزهة المالك والمملوك، ١٨٧-١٨٨، العينى: عقد الجمان ٤: ٢٤٠، المقريزى: السلوك ج١ق٣: ٩٣٦.

(٥٢) اليونينى: ذيل مرآة الزمان ٤: ١٢

(٥٣) ابن حبيب: تذكرة النبية ١:٢٤٩.

(٥٤) ابو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٤:٦٢

الهرب مقدار رمية نشاب إلا وقع على الأرض (٥٥)، بالإضافة إلى ذلك فقد استغل المماليك المنطقة الجبلية لصالحهم ولم يتركوا الفرصة للمغول لمحاربتهم من أعلى بل احاطوا بهم كما انهم سيطروا على النهر وحرموا المغول من الماء مما أضعفهم وكانوا فريسة سهلة الصيد.

نجد أن كل المعارك مع المغول كانت في بلاد الشام وما بعدها وذلك لإيقاف العدو المغولي من التقدم لأنه متى استولى على الشام انتهى الأمر واتجه مباشرة إلى مصر، ومن مميزات بلاد الشام أنها جبلية ولا يمكن احراز النصر في الجبال وتكثر بها الوديان والأحراش التي يسهل فيها التخفي واختيار مواقع للكمائن، وقد استغل المماليك هذه الطبيعة لصالحهم في عين جالوت ومرج المروج وشقحب.

- **ثانيًا- المعارك مع الصليبين:**

كان الهدف من المعارك ضد الصليبيين استرداد المناطق المحتلة ويتم ذلك بطريقتين هما: الإغارة والحصار، وقد استطاع بيبرس فتح مدن وحصون وقلاع عديدة على الساحل الشامي وظهيره. واتبع خطة الجيوش المتلاحقة من جميع الجهات وكان يختار الأماكن المناسبة لتحركات الجيش وأماكن ظهوره وقت المعركة فقد كانت الجيوش المملوكية تأتي من أماكن لا يتوقعها الصليبيون مع السرية وسرعة التنفيذ والمفاجأة.

- **فتح قيسارية وأرسوف ٦٦٣ه/ ١٢٦٥م: (اختيار الزمان صباحًا):**

مع الصباح الباكر يوم ٩ جمادى الأول ٦٦٣هـ/ ٢٧ فبراير ١٢٦٥م خرج الظاهر بيبرس بنفسه على رأس جيش ضخم إلى قيسارية وعلى حين

(٥٥) العينى:عقد الجمان٤:٢٤١.

غفلة من أهلها فرض الحصار عليها حتىٰ فتح المدينة والقلعة في ١٥جمادىٰ/ ٧مارس أي بعد حصار اسبوع (٥٦)، ثم توجه علىٰ الفور مستغلًا الوقت فلا يكون لدىٰ الصليبيين وقتًا للاستعداد لفتح أرسوف. فوجه فرقة إلىٰ عثليث وأخرىٰ إلىٰ حيفا فسقطت المدينة وقلعتها في يوم واحد وبعد ذلك بعد أيام اتجه إلىٰ أرسوف الواقعة شمال قيسارية وجنوب يافا وفجأة وجد الصليبيون أنفسهم " إلا وقد خالطهم المسلمون قبل أن يسألوا الأمان ويبذلوا الطاعة والإذعان فتسلمها السلطان في يوم الخميس"(٥٧)، وهكذا كان حسن اختيار التوقيت للهجوم والسرعة في التحرك عاملًا مهمًا في تحقيق الهدف فحينما اختار بيرس وقت الصباح لمهاجمة قيسارية فهو وقت غير متوقع بالنسبة للصليبيين حيث يكون جيشها غافل وأهلها نائمون.

ومرة أخرىٰ كان التوقيت عاملًا مهمًا لنجاح العملية العسكرية ففي٢٠ جمادىٰ الآخرة ٦٦٦هـ/ ٧ مارس ١٢٦٨م وصلت القوات المملوكية بين غزة وعسقلان مستغلًا الوقت والسرعة ونقض الصليبيين للهدنة بأنهم جعلوا أهل يافا يدفعون الميرة إلىٰ عكا وكان ذلك ممنوعًا وعلىٰ

---

(٥٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٢٣٠، شافع بن علىٰ(شافع بن علىٰ بن عباس الكنانىٰ العسقلانىٰ المصرىٰ ناصر الدين توفي ٧٣٠ه/ ١٣٣٠م): حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض –مطبعة سفير، ١٩٨٩م، ١٨١، المنصورىٰ الدودار: زبدة الفكرة، ٩٥-٩٦، أبو الفدا:المختصرفي أخبار البشر٤: ٧،المقريزىٰ: السلوك ج١ق٢: ٦٢٥.

(٥٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٢٣٤-٢٣٦، المقريزىٰ: السلوك ج١ق٢: ٥٢٧-٥٢٩، المنصورىٰ: زبدة الفكرة، ٩٦، العينىٰ: عقد الجمان ج١: ٣٩٦-٣٩٧، النويرىٰ: نهاية الأرب ج٣٠، تحقيق محمد عبد الهادىٰ شعيرة ومحمد مصطفي زيادة، القاهرة -الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢٦٨-٢٧٢

الفور اتجهت إلى يافا واستولوا عليها خلال نصف يوم في الوقت الذي كان فيه قائد حصن يافا يتفاوض مع السلطان(٥٨)وحينها أمر بيبرس القوات بالتحرك ليلًا ووصلت يافا في الصباح الباكر وفوجيء الصليبيون فاصابهم الفزع والاضطراب وطلبوا الأمان وسلموا القلعة (٥٩)

- **تحرير أنطاكية ٦٦٦ه/١٢٦٨م: (اختيار الطرق الآمنة واستغلال التوقيت):**

حاول بيبرس عام ١٢٦١ مهاجمة أنطاكية انتقاما من أميرها بوهيموند السادس لمحالفته المغول ثم كرر المحاولة في ١٢٦٢م ولكنه فشل بسبب تدخل هيثوم ملك أرمينية والمغول لنجدة أنطاكية وذلك مالم يأخذه بيبرس في اعتباره. لكن في المرة الثالثة في رمضان ٦٦٦ه/ ١٢٦٦م أظهرت خطة بيبرس لفتح أنطاكية مدى الذكاء العسكري للمماليك فقد رأى أهمية موقع يافا الاستراتيجي واعتبرها نقطة تمركز القوات وانطلاقها بعد الاستيلاء عليها حيث اتخذها قاعدة لتقدم القوات والقيام بحركة تطويق من الجانبين على أنطاكية وهذا ما يسمى باحتلال النقاط الحيوية. واختار بيبرس ثلاث طرق آمنة لمسيرة قواته للوصول إلى أنطاكية ويستغل هذه الطرق للسيطرة عليها ومنع وصول إمدادات خارجية؛ فأرسل الفرقة الأولى إلى ميناء السويدية لتقطع الصلة بين أنطاكية والبحر لعزلها عن أية مساعدات من البحر،والفرقة الثانية قامت بغلق الممرات بين قيلقية والشام بهدف منع

(٥٨) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٢٩٢- ٢٩٣، العينى: عقد الجمان ٢: ١٩، النويرى: نهاية الأرب ٢٩٨:٣٠-٢٩٩،، المقريزى: السلوك ج١ق٢:٥٦٤، فهمى: الفن الحربى، ١٨٧.

(٥٩) المنصورى الدودار: زبدة الفكرة، ١١٠، العينى: عقد الجمان ٢، ١٩.

الاتصال بين أرمينية وأنطاكية، والثالثة كانت الفرقة الرئيسية بقيادة بيبرس(٦٠) وبذلك تم اختيار مسالك متميزة لتطويق المدينة وحصارها من جميع الجهات بهدف سقوطها نهائيا في أيدي المماليك(٦١).

ومن الناحية الزمنية فقد اختار بيبرس وقت عدم تواجد بوهيموند في طرابلس والذي لم يعلم بما حل بإمارته وحصونها إلا عن طريق بيبرس نفسه الذي أرسل له رسالة وهو مازال في أنطاكية.(٦٢) وعلى حين غفلة من أهلها فكان فتحها من أيسر الفتوح رغم حصانتها (٦٣) ولا شك أن سقوط أنطاكية ثاني إمارة بعد الرها كان ضربة قوية للكيان الصليبي في الشام وبعدها لم يستطع الداوية الاحتفاظ بقلاعهم كما استسلمت قلعة بغراس دون مقاومة وتبددت فكرة التحالف بين أرمينية الصغرى وأنطاكية والمغول.

- **فتح اللاذقية: ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م (اختيار الزمن واستغلال الفرص):**

حينما نشبت الحرب بين بيزا والبندقية في إيطاليا وامتدت إلى بلاد الشام وأتى أسطول جنوى لمهاجمة البيازنة في الشام(٦٤) وقد حرص قائد

---

(٦٠) النويرى: نهاية الأرب ٣٠، ٣٠٦، المقريزى: السلوك ج١ق٢: ٥٦٧، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٢٩٣-٣٠٥، ٣٠٧- ٣٠٨؛ المفضل بن أبى الفضائل: النهج السديد ١٦١- ١٦٣؛ أبو الفدا: المختصر٤: ص٢، عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية،ج٢، القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٠م،٣٦٢.

(٦١) انظر: خريطة (٣)

(٦٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٣٠٩-٣١٣، النويرى: نهاية الارب ٣٠٧:٣٠، العينى:عقد الجمان ٢: ٢٣-٢٨،ابن أيبك الدودار: كنز الدر٩: ١٢٨، المقريزى: السلوك ج١ق٢: ٥٦٧، المنصورى الدوادار: زبدة الفكرة، ١١٢

(٦٣) الأنصارى: تفريج الكروب، ٩٠.

(٦٤) عاشور: الحركة الصليبية ٢:٣٧٧

الأسطول الجنوي المرور بالإسكندرية وطلب تأييده ومساندته في حين كانت بقية قطع الأسطول تصارع سفن البيازنة عند عكا (٦٥) وانتهز قلاوون فرصة انشغال الأساطيل الإيطالية فيما بين بعضها البعض وتقدم على الفور لفتح اللاذقية فدخلها وأرغم الصليبيين على الاستسلام وكانت آخر بلد تبقى من إمارة أنطاكية (٦٦)

- **تحرير طرابلس٦٨٨ه/ ١٢٨٨م: اختيار الوقت المناسب باستغلال الظروف:**

منذ أن قام بوهيموند السادس بالتحالف مع المغول وأرمينية ضد المسلمين، والمماليك ينتظرون الوقت المناسب للاستيلاء على طرابلس، وشاءت الأقدار أن يحقق هدفه وبالفعل كانت الظروف مناسبة لذلك في ٤ ربيع الأول٦٨٨ه/ ١٢٨٨م حينما اضطربت أحوال المملكة وأنقسم سكانها على أنفسهم وبدأ الصراع بين الصليبين والجنوية حتى طلب الصليبيون من المنصور قلاوون الاستيلاء على طرابلس(٦٧)، وقد تحجج قلاوون بأن صاحب طرابلس نقض المعاهدة واعتدوا على التجار المسلمين فجمع قواته

---

(٦٥) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج٣، ترجمة نور الدين خليل، القاهرة – الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ٤٦٥.

(٦٦) ابو الفدا: المختصر في اخبار البشر٤: ٣١، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ١٤٨-١٤٩، ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج٣،٤٦٦، عاشور: الحركة الصليبية ٢، ٣٧٧

(٦٧) عاشور: الحركة الصليبية ٢، ٣٧٦-٣٧٨.

للاستيلاء عليها[٦٨] وكان ذلك في الساعة السابعة صباحًا[٦٩] وجاءت مساعدات خارجية للمدينة من ناحية قبرص ولكن بعد فوات الأوان وكان قلاوون أسرع فشرع على الفور في حصار المدينة واضطربت الأحوال أكثر حتى سقطت المدينة بأكملها في أيدي المماليك [٧٠]وعندما لاحت الإشارات بسقوطها فانسحب البنادقة والجنوية.

- **الحرب ضد أرمينية ٦٦٤ه/١٢٦٦م: - اختيار الزمان واستغلال الظروف:**

كان ملك أرمينية الصغرى متحالفًا مع المغول ضد المماليك وحرض هولاكو على غزو الشام وهذا الأمر لم يغفره بيبرس وفي نفس الوقت كان هيثوم ملك أرمينية فرض حصارًا اقتصاديًا على مصر بمنع تصدير الأخشاب والحديد إليها من آسيا الصغرى [٧١] فقرر الانتقام منه ولكنه كان مشغولًا بفتح القلاع والحصون في الشام كما كان في انتظار الفرصة والوقت المناسب لتلقين هيثوم الأول درسًا قاسيًا. ففي ٦٦٤/ صيف ١٢٦٦م استغل بيبرس فرصة غياب هيثوم عن المملكة وسفره إلى الخان المغولي فأرسل فرقة عسكرية بقيادة قلاوون لمهاجمة أرمينية فدخل أدنة وطرسوس والمصيصة وإياس وحدثت المعركة قرب دربساك-قلعة حصينة

(٦٨) المقريزى: السلوك ج١ق٣، ٧٤٦، النويرى: نهاية الأرب ٣١، ٤٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة٧: ٣٢١.

(٦٩) النويرى: نهاية الأرب ٣١: ٤٦، ابن ايبك الدودار: كنز الدرر٨، ٢٨٣، المقريزى:السلوك ج١ق٣: ٧٤٧. في حين ان العينى وابن تغرى بردى ذكروا انها فتحت في الرابعة عصرًا.

(٧٠) المقريزى:السلوك ج١ق٣: ٧٤٧.

(٧١) الهمذانى: جامع التواريخ ٢م٢: ١٣-١٤، عاشور:الحركة الصليبية ٢:٣٦٠.

قرب أنطاكية- فدخلت القوات المملوكية العاصمة سيس وقتل ابن هيثوم وأسر ابنه الآخر (٧٢)وبعد عدة سنوات قام الظاهر بيبرس بمهاجمة أرمينية مرة أخرىٰ في شعبان ٦٧٣ه/ مارس ١٢٧٥م علىٰ حين غرة من أهلها في البر والبحر وأسر منهم الكثير ولم يجروء ليو الثالث ملك أرمينية علىٰ مواجهة المماليك.(٧٣)

- اختيار المواقع الحيوية الاستراتيجية:

- **اختيار مواقع استراتيجية تمهيدًا لتحرير طرابلس:**

ففي شعبان ٦٦٤/ مايو١٢٦٦أرسل بيبرس فرقة من جيشه بقيادة قلاوون استولت علىٰ القليعات وحلباء وعرقة (٧٤)، وهي المراكز الثلاثة التي كانت شبه مثلث يحمي طرابلس من جهة الشمال الشرقي فكان الاستيلاء عليها ممهدًا لطرابلس(٧٥) حيث كانت استراتيجية بيبرس تقوم علىٰ حصار طرابلس اقتصاديًا بالاستيلاء علىٰ ما حولها وتخريبه وهذا يعني أن اختيار قلاوون لهذه المواقع ذات أهمية للمماليك فتساعده علىٰ سقوط

---

(٧٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ٢٦٩-٢٧٠،المنصورىٰ الدوادار: زبدة الفكرة، ١٠٥، المقريزىٰ: السلوك ج١: ٥٥٢، ابن تغرىٰ بردىٰ: النجوم الزاهرة ٧: ١٤٠،ابن ايبك الدودار: كنز الدرر٨: ١١٨، العينىٰ: عقد الجمان ١: ٤٢٢-٤٢٣.

(٧٣) المنصورىٰ الدوادار: زبدة الفكرة، ١٤٤، المقريزىٰ: السلوك ج١ ق٢:٦١٦- ٦١٧، ابن أيبك الدودار:كنز الدرر٨، ٧٧٧، ابن الفرات:(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم توفي ٨٠٧ه/ ١٤٠٥م): تاريخ ابن الفرات، م٧، تحقيق قسطنطين رزيق، بيروت،المطبعة الأمريكانية، ١٩٤٢م، ٢٩.

(٧٤) المنصورىٰ الدوادار: زبدة الفكرة، ١٠٤، المقريزىٰ: السلوك ج١ق٢: ٥٤٥، العينىٰ: عقد الجمان ١: ٤٢١.

(٧٥)عاشور: الحركة الصليبية ٢: ٣٦٠

طرابلس. ثم وقع اختيار بيبرس على مهاجمة طرابلس عبر حدودها الشمالية حيث ممر حمص-طرابلس أضعف الجهات حصانة جغرافية فبدأ بالهجوم على قلعة صافيتا الواقعة شمال طرابلس في ٦٦٩هـ/ فبراير ١٢٧١م (٧٦)، وفي نفس العام اتجه نظر بيبرس إلى مكان أكثر أهمية استراتيجية وهو قلعة حصن الأكراد التي يسيطر على ثغر حمص -طرابلس وتقع القلعة على هضبة يزيد ارتفاعها عن ٧٥٠م عن سطح البحر وبالتالي تشرف على جميع الأراضي المحيطة وعلى ممرات القوافل مما يعني أنها خط دفاع أمامي من الجهة الشمالية الشرقية كما أنها تهدد الأراضي الإسلامية خاصة حماة وحمص ومن هنا جاءت فكرة أهمية الاستيلاء عليها وذلك ليحمي مدنه من غارات فرسان الاسبتارية وحرمان إمارة طرابلس من أقوى خطوط دفاعها وخاصة أنها قلعة منيعة (٧٧) وأدي ذلك إلى أن اتخذها بيبرس قاعدة لشن هجماته على طرابلس ومن ثم كان اختياره لهذا الحصن للاستيلاء عليه ذا أهمية له لتنفيذ المخطط الأهم وهو تحرير طرابلس.

- **تحرير قلعة شقيف أرنون:**

ومن الأماكن الحيوية التي وقع عليها الاختيار لتكون مراكز قوى للجيش المملوكي وتهدد الصليبيين في بلاد الشام كانت قلعة شقيف حيث استطاع الظاهر بيبرس في ٣٠ رجب ٦٦٦هـ/ ١٥ ابريل ١٢٦٨م الاستيلاء عليها بموقعها الاستراتيجي المتميز عند الحدود الشمالية لمملكة بيت المقدس

(٧٦) ابن عبد الظاهر:الروض الزاهر،٣٧٤، النويرى: نهاية الأرب ٣٠: ٣٢٤، المقريزى:السلوك ج٢:٥٩٠.

(٧٧) الخرابشة، سليمان عبد الله، نيابة طرابلس في العصر المملوكي، عمان، ١٩٩٣م، ٢٣، الجوهرى، نهى فتحى، إمارة طرابلس الصليبية،القاهرة- دار العالم العربى، ٢٠٠٨م، ٢٩٠.

علىٰ نهر الليطاني(٧٨) – موقع يشرف علىٰ القدس – وبالتالي حرم الصليبيين من تلك القلعة ذات الأهمية لهم.

- **تحرير ثغر الكختا: اختيار مواقع الكمائن ضد المغول (احتلال مناطق حيوية استراتيجية):**

استمر قلاوون يترصد تحركات المغول وتطلع نحو القلاع والحصون علىٰ أطراف دولته ليفتحها ويستولي عليها لتكون كمائن ومراكز تراقب وترصد العدو المغولي وخاصة إذا كانت هذه الأماكن تمثل نقاط حيوية واستراتيجية تحمي الدولة المملوكية. ففكر قلاوون في ثغر الكختا عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م يقع أقصىٰ الشام كم جهة الشمال بشرق حلب علىٰ مرتفع صخري شاهق "لا يلحقه رام وإذا رمي من تحته لا يصل سهمه إلا في الصخور وهو كذلك في سائر جوانبه"، كما أن به مخازن الغلال وصهاريج مياه ومساكن عديدة وجميعها علىٰ الصخور (٧٩) ونظرًا لأهميته بذل قلاوون وعود الأمان لمن بداخله ليسلموه، واتخذها قاعدة للهجوم علىٰ أرمينية والإغارة عليهم ليلًا ونهارًا(٨٠)

---

(٧٨) عبد المنعم، سرور علىٰ: الدور السياسي الحصن شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب– جامعة طنطا١٩٩٧م، ١٢٣– ١٣٠، نهىٰ فتحىٰ الجوهرىٰ: إمارة طربلس، ٢٨٤.

(٧٩) ابن عبد الظاهر(محيىٰ الدين بن عبد الظاهر توفي ٦٩٢ه/ ١٢٩٣م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور،تحقيق، مراد كامل،القاهرة –الشركة العربية للطباعة والنشر،١٩٦١م، ٢٨–٢٩، المنصورىٰ الدودار: زبدة الفكرة، ٢٤٤، القلقشندىٰ (شهاب الدين أحمد بن علىٰ بن أحمد توفي ٨٢١ه/ ١٤١٨م): صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا، ج٤، القاهرة – دار الكتب المصرية، ١٩١٩م، ١٢٠.

(٨٠) المنصورىٰ الدوادار: زبدة الفكرة، ٢٤٥، النويرىٰ: نهاية الأرب ٣١: ٣٨، المقريزىٰ: السلوك ج١ق٣: ٧١٤.

- **تحرير قلعة قطينا:**

كان يسيطر عليها المغول وقد شكلت هذه القلعة خطرًا على حصن كركر(٨١) والثغور المجاورة، لذا تطلع قلاوون إلى جعلها تحت سيطرته بعد موقعة حمص فبدا بحصارها حتى سيطر عليها في ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م وبعد ان تخلى المغول عنها.(٨٢)

ثالثًا- الآثار الناتجة عن سوء اختيار الزمان والمكان:

- **الاستيلاء على حصن المرقب: عدم دراسة لمكان الهجوم**

طلب الأمير سيف الدين الطباخي نائب السلطنة في حصن الأكراد من السلطان المنصور قلاوون أن يسمح له بالهجوم على المرقب انتقامًا من حاميته التي نقضت الهدنة فوافق على ذلك، فقاد جيشه في ٦٧٩هـ/ فبراير ١٢٨١م وحاصر الحصن ولكن سيف الدين لم يدرس المكان جيدًا ولذا لم يضع الخطة المناسبة فالحصن يقع على ربوة مرتفعة يصعب الوصول إليها مع حصانته وبالتالي كان المماليك في مرمى الصليبيين لذلك لم تُجد ضربات القوات المملوكية في حين كان فرسان الاسبتارية يواجهون المماليك بكل قوة وتكبدوا خسائر فادحة في الاوراح فأمر سيف الدين قواته بالانسحاب (٨٣)

---

(٨١) حصن كركر: يقع أقصى الشام في الشمال عن حلب وغرب الكختا، أنظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٢٠.

(٨٢) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ٢٧، المنصوري الدودار: زبدة الفكرة، ٢٤٤، النويري: نهاية الأرب٣١: ٣٧، المقريزي: السلوك ج١ق٣: ٧١٤.

(٨٣) العُمري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد توفي ٧٤٩ه/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٣، تحقيق محمد كمال عز الدين، الرياض - دار روائع الأثير،٢٠٠٨م، ٣٧١،النويري: نهاية الأرب ٣١،: ٦٩-٧٠، المقريزي: السلوك ج٢: ١٣٧، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات ٧: ١٩٥.

- **معركة مجمع المروج – الخازندار ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م (اختيار العدو لزمان ومكان المعركة)**

كانت تلك المعركة أول معركة يخسر فيها المماليك أمام المغول لأن غازان خان المغول قد اختار الزمان المناسب له مع التجهيزات العسكرية(٨٤) فاصبح المماليك أمام الأمر الواقع وخاصة عندما علم غازان بأن جيش المماليك يعسكر قرب تل النصر فقام بقطع خط الرجعة عليهم والتقى الجيشان في مجمع المروج شرقي حمص ولكن المغول تكاثروا عليهم حينما أمر الناصر محمد جنوده بالاعتماد على السيوف والدبابيس فما استطاعوا الصمود أمام المغول (٨٥) ويرجع السبب في ذلك إلى سوء تقدير الناصر لاستعدادات الجيش المغولي وعدم اختيار الوقت المناسب كما أنه انتظر طويلًا للقاء غازان حيث أنه وصل دمشق يوم٩ ربيع الأول وتقابل الطرفان في ٢٨ منه، في حين كان غازان أسرع منه في التوقيت والحركة وتفاجئ المماليك بهم.

---

(٨٤) المنصورى الدوادار: زبدة الفكرة: ٣٣١، المقريزى: السلوك ج١ق٣: ٨٨٦، مؤلف مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ٥٨.

(٨٥) المقريزى: السلوك ج١ق٣: ٨٨٧، ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة ٧: ٢٤٥، النويرى ٣٠: ٣٨٤، المفضل بن أبى الفضائل: النهج السديد، ٣٥٥-٣٥٧، ابن أيبك الدودار: كنز الدرر٩: ١٥-١٦.

الخـــاتمـة

مع وصول المماليك للسلطة وجدوا انفسهم أمام تحديات ومواجهات جسيمة ولم يكن لديهم خيار سوىٰ التصدي والدفاع عن البلاد الاسلامية وبالفعل استطاع المماليك حماية العالم الاسلامي من مخاطر شتىٰ كادت تدمره وتقضي علىٰ هويته العربية والاسلامية ولم يتأتىٰ ذلك من فراغ حيث أنهم وضعوا اسس وقواعد لتنظيم عسكري فائق الكفاءة اعتمد علىٰ التدريبات القاسية والتربية العسكرية للجنود وتشكيلات قتالية وحربية وكذلك خطط حربية غاية في الذكاء العسكري وتجلىٰ ذلك واضحا في الكتب الحربية لمؤرخي العصر.

وقد تبين من خلال المصادر التاريخية المعاصرة أن المماليك استخدموا خطط عسكرية متنوعة ومتطورة وفقًا لظروف المعركة كان لها الأثر في تحقيق الانتصار علىٰ الأعداء وفي حقيقة الأمر هناك عوامل عديدة ساهمت في ذلك إلا أن مهمة اختيار الزمان والمكان يعتبر عاملًا مساعدًا بجانب العوامل الأخرىٰ لتحقيق النصر وقد اسهبت فيها المصادر الحربية في تلك الفترة وأوضحت أهميتها.

إن اختيار المكان يستلزم دراسة جغرافية للاستفادة من خصائص الأرض عسكريًا ومن الموانع والظروف الطبيعية من حيث كونه منطقة جبلية أو سهلية أو صحراية أو منطقة أحراش وأشجار واصبح ذلك من المباديء والاسس الهامة التي يجب مراعاتها عند وضع الخطة العسكرية. حيث تتوقف نسبة النجاح في المعركة علىٰ حشد القوات القتالية في الزمان والمكان المناسبين، حيث تساهم طبيعة الأرض من الناحية التركيبية والمظهرية دورًا هامًا في المعارك الحربية، ويمكن للقائد العسكري أن يستغل

ذلك لصالح قواته ولإعداد الخطة الدفاعية والتجهيزات العسكرية المناسبة وتوزيع القوات،ولذا يجب عليه التعمق في معرفة وضعية الأرض، والقائد العسكري الناجح في عملياته الحربية هو الذي ينجح في معرفة طبيعة أرض المعركة واستغلالها والانتفاع بها في حماية قواته وتحقيق السلامة لهم. لم يقتصر اختيار المكان على أرض المعركة فحسب بل أيضًا كان يختار المناطق الحيوية التي كانت تمثلًا خطرًا على المسلمين فيستولي عليها لحماية البلاد أو يتخذها قاعدة للهجوم أو كمين للانقضاض على العدو أو أن المكان يمثل طريقًا آمنًا للقوات المملوكية أثناء سيرها أو أن تلك المناطق تمهد الطريق للقائد المملوكي لتحرير مكان آخر.

كما أن اختيار التوقيت المناسب مهمًا للغاية حيث أكدت المصادر أن تحديد وقت المعركة أو الهجوم على حصن أو مدينة كان وفقًا لدراسة مناخ المكان ليلًا أو نهارًا أو وفقًا لفصول السنة، فكان تحديد القائد العسكري لوقت الهجوم أو استطلاع معسكر العدو والسيطرة على قواته ليلأ في ضوء القمر أفضل من الاستطلاع النهاري في ضوء الشمس نظرًا لسهولة الاختباء وحرية تحرك القوات في أمان، كذلك كان تحديد الموعد صيفًا أو شتاء مع العلم بطبيعة العدو وظرف بلاده المناخية التي يعيش فيها. وهكذا ادخلوا في حساباتهم حركة الشمس الظاهرية والفصل الذي يتحركون فيه وهذا يمكن تسميته بخطة دراسة المناخ والطقس. فوجدنا أن الهجوم على الصليبيين كان نهارًا وغالبًا في الصباح الباكر وهم غافلون.

وفي حالة الاختيار الغير مناسب للتوقيت والمكان بمعنى أن السلطان وجد نفسه مجبرًا على القتال في توقيت معين وفي مكان ما لم يختاره كان سببًا في هزيمة الجيش المملوكي وإنهاك القوات أو أنه تعجل الخروج بالجيش بدون دراسة وافية للأرض وللزمن.

خريطة (١)

رسم تخطيطي لمعركة عين جالوت

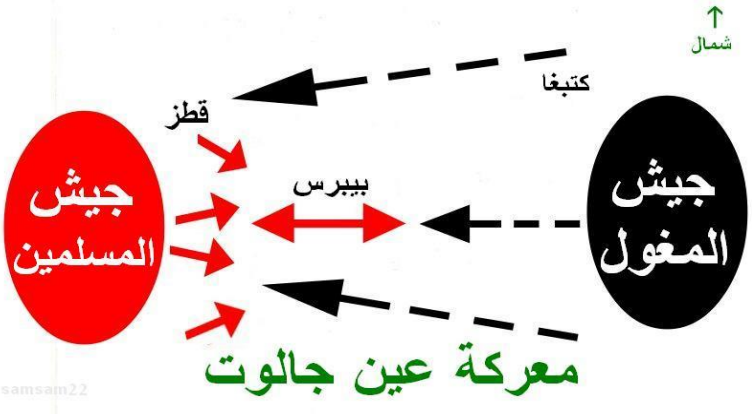

خريطة (٢) معركة وادي الخازندار ومرج الصُّفر

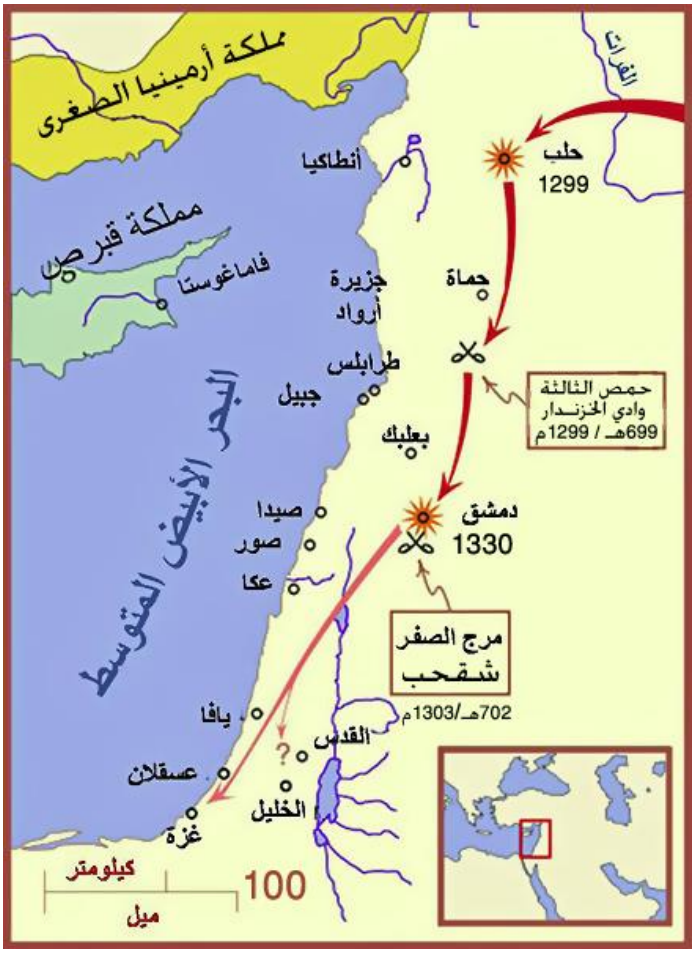

خريطة (٣) تحرير أنطاكية